«وما آفة الأخبار إلا رواتها» من أوراق حازم جواد*: حركة 8 شباط المغدورة بين الحقائق والتشويه (6)

لم يكن قاسم شيوعيا.. بل كان اقرب للتصالح مع التوجهات المحافظة والانفصالية التي تصب في مصالح الامبريالية

صداقتي مع السعدي قامت على انتمائنا السياسي والابعاد الانسانية حتى بدأت انفعالاته تتفجر بحالات هياج غير مبرر

بعد أكثر من أربعين سنة على وقوع حركة شباط المعروفة في التاريخ العراقي (1963) قرر حازم جواد قائد هذه الحركة وأحد الرموز المهمة فيها العودة اليها، خاصة ان ذكراها تحل اليوم، 8 شباط (فبراير)، ووضع النقاط على الحروف. ويقدم جواد عرضا تاريخيا للاحداث وتقييما للشخصيات التي لعبت في هذه الحركة والظروف العراقية والاقليمية. وهي شهادة مهمة لانها تصدر عن واحد من اهم صناع هذه الحركة. وفي هذه الحلقة يواصل جواد حديثه عن علاقة قاسم بالشيوعيين، وصدامه معهم، وهروب الكاتب الى سورية، وعلاقته مع علي صالح السعدي التي يقول انها قامت على الابعاد الانسانية والانتماء السياسي قبل ان تبرد. ويشير الى البرقية المفبركة، ومذبحة التركمان في كركوك.

«القدس العربي»

الباب الثاني: تجربتي مع علي صالح السعدي
الفصل الاول: البدايات.. وتجربة العمل المشترك

تعرفت على السيد علي صالح السعدي وللمرة الاولى في شوارع بغداد خلال الايام الثلاثة العاصفة التي شهدتها العاصمة العراقية، في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1952، وهي الايام التي عرفت بانتفاضة تشرين في أدبيات الحركة الوطنية العراقية. وكان السعدي من العناصر الفعالة في احداث تلك الايام الثلاثة وكذلك كاتب هذه السطور، حيث كنت قد اكتسبت درجة عضو عامل في حزب البعث، حديثاً، ومسؤول عن تنظيم طلبة الاعدادية المركزية، ولعبت مع تنظيمي المتواضع في تلك المدرسة دورا تحريضيا منذ اليوم الاول لتلك الانتفاضة، والذي صادف يوم الخميس، التاسع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر). لازلت احتفظ بالذكريات المحفورة في ذاكرتي عن تلك الاحداث، التي عبر فيها العراقيون مرة اخرى عن مدى غضبهم وسخطهم من النظام التابع للأجنبي والجاثم على صدورهم بالقوة، وكيف سيطرت الجماهير على عاصمتهم المحبوبة، وهروب او انسحاب جلاوزة العهد الملكي وشرطته العلنية والسرية وبعد قتال ثلاث ايام من معارك الشوارع. لم تجد الطغمة الحاكمة سوى الجيش كملاذ اخير للسيطرة على الشارع في بغداد والمدن الاخرى واعلان حالة الطوارئ، المعروفة في العراق باسم الاحكام العرفية، التي قضت بحل الاحزاب العلنية واغلقت الصحف وعطلت المدارس في كافة انحاء العراق، وفرضت نظام منع التجول، وتم تكليف رئيس اركان الجيش نور الدين محمود بتشكيل الوزارة. كان للحزب الشيوعي العراقي دور اساسي في تلك الانتفاضة بقيادة سكرتيره العام بهاء الدين نوري. الا أن هذه الانتفاضة كانت باكورة نشاطات حزب البعث حيث شارك فيها العشرات من اعضاء الحزب وانصاره ومؤيديه من الطلبة العراقيين والعرب، والفئات الاخرى ايضا. استمر ارتباط بعضهم بالحزب الى سنين متأخرة في حين ان البعض الآخر ترك الحزب لهذا السبب او ذاك خلال مسيرة الحزب الطويلة.

مما لفت انتباهي في تلك الاحداث، ما رأيته من سلوكيات السيد علي صالح السعدي الذي كان يشترك بحماس في المظاهرات، تارة ضمن مواكب القوميين، واخرى مع مجموعات حزب البعث، واحيانا ضمن تجمعات الحزب الشيوعي العراقي وحلفائهم وانصارهم برفقة صديقه الكادر الشيوعي عبد اللطيف العاني، الامر الذي اثار فضولي للسؤال والاستفسار من رفاقي البعثيين عنه، فقيل لي انه مناضل قومي مستقل، يعمل الحزب على كسبه وضمه لصفوف حزب البعث الوليد.

وفعلا تم كسبه او ضمه للحزب بعد اشهر من الانتفاضة، ضمن شروط وتعهدات بأن يلائم سلوكه السياسي والعام مع منهج الحزب ونشاطاته وسلوكياته.

منذ تلك الايام قامت بيني والمرحوم علي صالح السعدي علاقة صداقة تداخلت فيها وحدة انتمائنا السياسي، مع الابعاد الانسانية العامة التي يتضمنها مفهوم الصداقة في اعرافنا العربية، التصقنا ببعض سنين طويلة، حتى بدأت انفعالاته تتفجر بحالات هياج غير مبرر مع الكثير من رفاقه بمختلف مستوياتهم عام 1961 ـ 1963. ما يهمني أن هذه الانفعالات لا تتناسب مع حجم وامتداد ما بيننا من صداقة متينة وتجربة نضالية مشتركة، توحد من امالنا، وهمومنا، ويفترض ان تخلق حالة فكرية مشتركة او قريبة من بعضها البعض بما يكفي لابعاد اي اختلافات بيننا، ويقارب من سلوكنا وطريقة تعاملنا مع الاشياء والواقع السياسي من حولنا.

في عام 1955 جرت اول انتخابات قطرية للحزب، وكنت في حينها قد وصلت في ترتيبي ومهماتي الحزبية الى عضو قيادة تنظيم بغداد، ما اهلني للمشاركة في مؤتمر الحزب القطري، ونفس الأمر حصل مع السيد السعدي.

عام 1956 تسلمت قيادة المكتب الطلابي، وكان الطلاب يمثلون القطاع الاكبر من اعضاء الحزب وانصاره. ومثلت الحزب في القيادة العليا للجبهة الطلابية الموحدة، أو قيادة الميدان كما يسميها البعض، من ممثلي الحزب الشيوعي، الاستقلال، الوطني الديمقراطي، والبارتي.

في مساء يوم 29 تشرين الاول (اكتوبر) 1956، هاجمت القوات الاسرائيلية سيناء، وما تلاها في اليوم الثاني من صدور الانذار الثنائي البريطاني ـ الفرنسي لمصر لسحب قواتها العسكرية مسافة محددة من ضفاف القناة وتسليم ادارة القناة لقوات الدولتين. في تلك الليلة حضر لمنزلي في الاعظمية، بدون موعد مسبق امين سر القيادة القطرية المرحوم فؤاد الركابي، الذي اصطحب معه السيد السعدي، لتبليغي بتكليف الحزب لي لقيادة الانتفاضة الوشيكة التي ينوي الحزب والقوى الوطنية الاخرى تفجيرها، استنكارا للاعتداء على البلد الشقيق مصر، ولاظهار الدعم الشعبي في العراق للرئيس عبد الناصر، واجبار نوري السعيد، الحاكم الحقيقي للعراق سواء اكان داخل السلطة او خارجها، على تجميد حلف بغداد والحد من اندفاعه في تأييد المخططات الغربية المعادية للأمة العربية وطموحاتها القومية. يجد القارئ وصفاً لهذه الاحداث في كتاب الاستاذ هادي حسن عليوي المعنون «دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق» والمطبوع عام 1986. دامت الانتفاضة المجيدة مدة شهرين فهي ما أن هدأت في بغداد حتى انفجرت في النجف الاشرف، وانفجرت في الموصل بعد ان هدأت في النجف، وهكذا مع بقية المدن العراقية. واطلقنا عليها في ادبيات الحزب انتفاضة الشهرين. كانت هذه الانتفاضة، وحجم مشاركة الحزب فيها، المؤشر الاول للشعب العراقي، ولحكومة نوري السعيد بنمو قدرات الحزب وقدرته على تحريك الشارع، كقوة سياسية اساسية في العراق يحسب حسابها.

كالعادة قامت حكومة نوري السعيد باغلاق المدارس والجامعات معتقلة العديد من العمال والطلبة والسياسيين، كان من بين المعتقلين القائد فؤاد الركابي، امين سر الحزب. بدأتُ بتنفيذ تعليمات الحزب بتنظيم المظاهرات، ومواصلتها واستمرارها، التي كانت تنطلق من المناطق الشعبية، كباب الشيخ، ومنطقة سوق السراي لتعذر تنظيمها في الشوارع والساحات الرئيسية التي كانت مطوقة بقوات الشرطة والأمن التي تمنع تجمهر اكثر من ثلاثة اشخاص بعد تعطيل الكليات والمدارس الثانوية. كانت آخر مظاهرة ساهمت بتنظيمها تلك التي انطلقت من سوق الشورجة في شارع الرشيد التي اخترقت الشارع الرئيسي في المدينة بغداد، باتجاه منطقة الباب الشرقي، رفعت المظاهرة شعارات الحزب التي تضمنت لأول مرة شعار «نفط العرب للعرب»، وطالبت بمقاطعة دول العدوان، بريطانيا وفرنسا، والخروج من حلف بغداد واسقاط حكومة نوري السعيد العميلة. كانت هذه المظاهرة هي اخر مظاهرة ينظمها الحزب أثناء تلك الانتفاضة، حيث غادرنا بعدها بغداد هروبا من مطاردة الشرطة واجهزة الامن، انا والسيد علي صالح السعدي، ورفيق آخر اسمه ضيف الله المطلوب ايضا من قبل الشرطة السرية، ذهبنا للاختفاء في بستان يعود لعائلة الرفيق السعدي في ناحية هبهب، في لواء ديالى (بعقوبة)، بقينا هناك مدة شهرين والى حين الغاء الاحكام العرفية. عدنا بعدها الى بغداد لنواصل مسيرة النشاط الحزبي. شهد الحزب في هذه الفعالية تطورا واضحا، وجلب انتباه الكثير من الشباب المستاء من الحكم الملكي ـ السعيدي. كانت هذه الانتفاضة تشكل قفزة نوعية في ارتقاء الحزب لواحد من اهم القوى السياسية العراقية التي تشهد تأييدا شعبيا ملموسا. لكنا وجدنا قراراً بالفصل من الجامعة ينتظرنا انا والرفيق السعدي. ان هذه الانتفاضة كانت تعبيرا عن مدى التلاحم بين شعوب الامة العربية في العراق ومصر وسورية وفلسطين ولبنان والاردن والجزيرة العربية، ووحدة همومها، وآمالها وتطلعاتها.

في كانون الاول (ديسمبر) من 1957، عقد المؤتمر القطري الثاني للحزب وارتقيت في درجتي التنظيمية لأصبح عضوا في القيادة القطرية للحزب، كما ارتقى السيد السعدي لنفس الدرجة الحزبية، ومنذ الاجتماعات الاولى للقيادة القطرية ، اي مع بداية عام 1958، علمت بشكل رسمي بالنشاطات الجارية بين ضباط الجيش للتحضير للثورة ضد النظام الملكي ـ السعيدي، وشاركت وبانسجام تام مع كل اعضاء القيادة، في جميع الفعاليات الحزبية.

في يوم الاحد الثالث عشر من تموز (يوليو)، كنت يومها في الحلة بالفرات الاوسط، عدت منها مباشرة الى بغداد، بعد استدعائي من قبل امين سر القيادة القطرية، بواسطة الرفيق مسؤول الحلة السيد عبد الامير عباس. في بغداد تم تبليغي من قبل الرفيق أمين السر باحتمال تحرك الجيش عند الفجر لازاحة النظام الملكي ـ السعيدي، كان السيد السعدي من بين اعضاء القيادة الميلغين، ايضا، اضافة الى رفيقين آخرين هما خالد علي الصالح وشمس الدين الكاظم، وكنا نحن الخمسة الوحيدين من المدنيين الذين بلغوا بساعة الصفر التي حددها الضباط الثوار للتحرك وتنفيذ الثورة وتفاصيل قيامها بشكل واضح.

خطة قاسم التآمرية السرية

شهدت انا وعلي التطورات المتسارعة التي حصلت بعد ثورة 14 تموز، والتجاذبات والصراعات التي نشأت بين القوى السياسية العراقية. وكانت قيادة الحزب منسجمة في مواقفها مع الاهداف الحقيقية للثورة، وموقفها من الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وكنت انا وعلي في طليعة المتوجسين، لا بل المتطيرين من تصرفات عبد الكريم قاسم، المستبطن لعداء، اشد وأمضى من عداء نوري السعيد، لكل من الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال عبد الناصر، رغم وقوفها بدون تحفظ مع ثورة تموز ومنذ ساعاتها الاولى، اضافة الى ما قدمته من استعداد للمساعدات في الاتصالات السابقة للتحرك وتنفيذ الثورة. وانحدر قاسم بسرعة نحو الانفراد بالحكم، وضرب القوى التي تقف في سبيل تحقيق نزعاته المريضة هذه. فمن الواضح ومنذ الايام الاولى انه تمكن من اخفاء ما يستبطنه من نوايا خبيثة حتى على صديقه ورفيق دربه السيد عبد السلام عارف، وجميع رفاقه من الهيئة العليا وبقية الضباط الاحرار. لذلك كنت انا وعلي من اوائل الذين أثاروا الانتباه لانحرافات قاسم وضرورة التعامل بحذر معها قبل فوات الاوان، الا ان موقفنا هذا كان يقابل بالدعوة للتريث والتروي من قبل السيد فؤاد الركابي وبعض الأعضاء الآخرين، الى ان كشف قاسم بضربته المباغته الخسيسة الاولى 11 أيلول (سبتمبر) باقصائه رفيقه عبد السلام عارف، من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة، بطريقة تآمرية مكشوفة ، تثير الكثير من القرف والاشمئزاز، فقد تم اعلان اعفاء عبد السلام من منصبه هذا عن طريق الاذاعة، بينما كان يحضر اجتماعاً لمجلس الوزراء في وزارة الدفاع، ولم يبلغ رسميا وهو بالاجتماع، ليكتشف او يفاجأ بالخبر بعد تركه الاجتماع. بذلك يكون قاسم قد حقق الصفحة الاولى من خطته السرية للثورة المضادة لثورة الرابع عشر من تموز، التي استمر في تنفيذ بقية مراحلها والى آخر لحظة من حياته.

اجتماع خطير للقيادة القطرية

على اثر تصرف قاسم هذا عقد اجتماع طارئ لقيادة الحزب «شهر أيلول» في دار خالة المرحوم السعدي في الوزيرية، وبعد استعراض الموقف، والتطورات المتسارعة ضد التوجه القومي للثورة، وافتضاح توجهات قاسم ضد مشروع انضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة، توصلنا في هذا الاجتماع الى قرار يقضي بضرورة التخلص السريع من قاسم. اذكر هذه التفاصيل للرد على بعض روايات الهواة والمرجفين والجاهلين الذين يؤرخون لحركة الانقضاض على قاسم وكأنها كانت وليدة عامها، او وقتها، أو انها كانت قراراً ابن لحظته لم يتخذ الا بفترة قصيرة قبيل تنفيذها في 8 شباط (فبراير) 1963.

بعد ايام قليلة وجه قاسم ضربته المباغته الثانية 30 أيلول (سبتمبر) وبنفس الاسلوب بإعفاء عارف من جميع مناصبه، وإعفاء وزير آخر هو السيد جابر عمر، كما تم إعفاء فؤاد الركابي من وزارة الاعمار، وتعيينه وزيراً للدولة.

اجتمعت القيادة هذه المرة في دار عضوها شمس الدين الكاظم واتخذت القيادة قرارا بضرورة استقالة ممثلها في السلطة الامين القطري، فؤاد الركابي. الا ان الأمين العام سحب استقالته التي ذهب ليقدمها الى قاسم، بقرار واجتهاد شخصي منه اتخذه خلال اجتماعه بقاسم الذي قدم نفسه للسيد فؤاد الركابي كوحدوي اكثر من صاحبه عارف، وأن عارف أثار رعب خصوم الوحدة وفزعهم دونما داعي برفعه لشعارات متطرفة خاصة تلك التي وردت في خطبه النارية في الكوت، الناصرية وترديده لشعار نهاية عهد الاقطاع. وانه ـ اي قاسم ـ في طريقه لدعوة المشير عبد الحكيم عامر ، نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة، والقائد العام للقوات المسلحة لزيارة بغداد، ليوقع معه ابتداءً وكدليل على حسن النوايا مشروع اتفاقية الوحدة العسكرية بين البلدين، التي ستكون هي الاساس الاول لقيام الوحدة السياسية الكاملة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق. وكان الهدف واضحا من هذا التكتيك القاسمي الذي يتجه الى عزل عارف عن اصدقائه ومناصريه، واولهم واكثرهم قوة وتأثيراً هو حزب البعث. والهدف الآخر من مناورة قاسم هذه انه كان يريد ان يَمتص ردة فعل عبد الناصر، كسباً للوقت فلم يكن قاسم قد هيأ اسلحته للحرب ضد عبد الناصر بعد. ويعرف قاسم جيداً ان الرفيق فؤاد الركابي سيقوم بنقل تفاصيل هذا اللقاء الى الرئيس عبد الناصر في اليوم التالي ان لم يكن في اليوم نفسه، وستساهم هذه المعلومات المضللة في تبريد ردة فعل عبد الناصر.

اثارت خطوة المرحوم فؤاد انقساما حاداً داخل القيادة، فقدمت استقالتي، كما قدم المرحوم علي صالح السعدي استقالته ايضا. وتسارعت الاحداث بزخم اكبر مما كانت تجري عليه فتم تسفير السيد عبد السلام عارف الى خارج العراق، كسفير في المانيا، الا انه عاد منها بعد ثلاثة أسابيع كما جرى الاتفاق بينه وبين عبد الكريم قاسم، وقام قاسم باعتقاله متهما اياه بانه جاء ليعد العدة لمؤامرة او انقلاب ضده، بعد أن كانت بعض الاشاعات انتشرت في بغداد، قبل عودة عبد السلام بأيام، اشاعات يبدو انها كانت مدروسة ومنظمة داخل بغداد، تروج أن شيئاً ما سيحدث يوم الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر)، وهو موعد انتهاء اجازة عبد السلام التي تم الاتفاق عليها مع قاسم. وسير قاسم بالتعاون مع الشيوعيين، وكافة القوى الانعزالية والشعوبية في العراق مظاهرات صاخبة في العاصمة تطالب بإعدام عارف، وترفع شعار الموت للبعثيين قام بعدها قاسم بحملة اعتقالات لبعض من قادة الحزب كنت من بينهم، اضافة للسيد علي صالح السعدي، وفيصل حبيب الخيزران والسيد عبد الستار الدوري وغيرهم ممن لا اتذكر اسماءهم.

استغناء قاسم عن خدمات الحزب الشيوعي

واستطعت الفرار من السجن والهرب الى سورية، كما مر ذكره عند الحديث عن بدايات علاقة البكر بالحزب التي وردت اعلاه. اطلق سراح السيد علي صالح السعدي في أواخر صيف عام 1959، مع اول بدايات تحرك قاسم للاستغناء عن خدمات الحزب الشيوعي التطوعية لاجهاض مشروع الوحدة وشنه الحرب على عروبة العراق، ويبدو انه كان يريد ان يوحي لحزب البعث بهذا التغير ويدفعه لمواجهة الشيوعيين في الشارع، وبذلك تنشغل القوى الوطنية بالصراع ضد بعضها ليوفر قاسم لنفسه ضماناً بابعاد مخاطرهما عنه.

يروي الاستاذ خالد علي الصالح في كتابه «على طريق النوايا الطيبة» عن أحداث تلك الأيام: ان القيادة جمدت نشاطات السيد علي صالح السعدي في خريف نفس العام ـ 1958، اما حازم جواد فقد اعتقل، الا ان عضويته في القيادة ظلت قائمة، ولم تجمد عضويته (كما ورد ذلك في الصفحات 262، 277).

يبدو ان قاسم بدأ يشعر بأمن اكثر، وهدأت مخاوفه من خطر القوى القومية، وحزب البعث في مقدمتها بعد فشل حركة الشواف، واعدام كبار الضباط القوميين في ساحة ام الطبول، وبعد ان اطلق عنان الحزب الشيوعي في حملة ارهاب منظمة لم يشهدها تاريخ العراق، بقتل الناس وسحلهم في الشوارع، الا ان قاسم خاف على ما يبدو ان تطال سكين الارهاب رقبته فاتخذ من المجزرة البشعة التي ارتكبها الشيوعيون، وبعض المتعصبين من الاكراد في ابشع عملية «تطهير عنصري» ضد التركمان في كركوك حجة لتوجيه «الركلة الاولى» للحزب الشيوعي بهدف تقزيمه وإعادته الى حجمه الطبيعي.

مذبحة الاخوة التركمان في كركوك

والتركمان كمجموعة عرقية عراقية كانوا من اكثر المجموعات بحثاً عن عوامل التفاعل والتعايش الوطني مع بقية ابناء الشعب العراقي، والذين ظلوا دائما مخلصين للمصالح الوطنية العراقية وبما يعززها من المصالح القومية العربية، التي كانوا يرون بها عنصرا مهما من عناصر تعزيز الامن الوطني العراقي، الذي يعزز امنهم الخاص كمجموعة اثنية تعيش في دولة عربية لم تجد في طول فترة تعايشها مع العرب ما يهدد وجودها او حتى هويتها الثقافية. اعتمد التركمان على جهودهم في الاسهام بعملية البناء الوطني دون ان تخيفهم التوجهات القومية العربية، فحققوا لانفسهم مكانة اقتصادية جيدة ومستوى من الرفاهية التي ساعد في نموها ركونهم للتعايش مع ابناء وطنهم دون اية حساسيات اثنية او ثقافية.

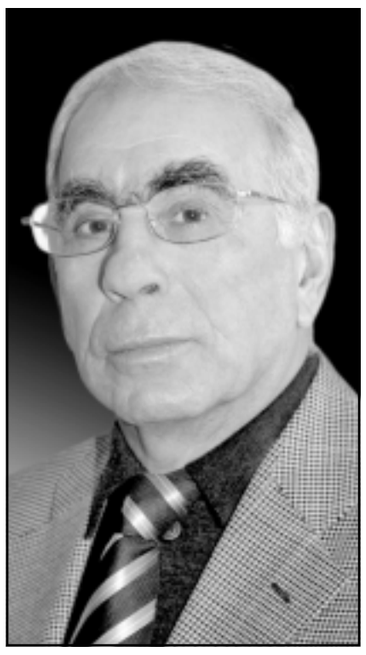

حازم جواد

يبدو أن هذه النجاحات الاقتصادية، والمشاركة الفعالة في ادارة الدولة مع بقية العراقيين من خلال انكباب بعضهم على الدراسة والمضي فيها لأعلى المستويات، اثارت حسد بعض الاقطاعيين الاكراد، الذين التقت مصالحهم في تحالف شعوبي غريب مع الحزب الشيوعي العراقي، وتطلعات شركات النفط الاحتكارية، لتمزيق قوى الشعب العراقي، وانهاك الحزب الشيوعي نفسه وتشويه سمعته بجره لمثل هذه المواقف اللاأخلاقية واللاوطنية، فكانت مجزرة كركوك التي لم يقدم اي من هذه القوى عذرا واحدا لتبريرها وطنيا، او انسانيا ورغم مرور اكثر من حوالي 46 سنة عليها.

حازم جواد مع المرحوم فؤاد الركابي (التقطت في 1958/7/18)

البرقية المفبركة التي أهملها كتاب المذكرات الشيوعيون وحنا بطاطو

لم يكن قاسم شيوعيا يوما، بل هو اقرب للتصالح مع التوجهات المحافظة والانفصالية التي تصب في النهاية في خدمة المصالح البريطانية والصهيونية في المنطقة، بل مع اية قوة تضمن له استمراره، كما تبيَن ذلك منذ اليوم الرابع لثورة تموز، وبعد أن سَربت له الدوائر الاستخباراتية لبريطانيا وحلف بغداد، نص البرقية المفبركة من القائم بالاعمال العربي الى القاهرة، ونقل اقوال مزعومة نسبت الى رفيقه عبد السلام. وسنفرد للقارئ العزيز نص تلك البرقية وقصتها في ملحق نهاية هذا الفصل، التي تتجاهلها وتغفلها الكثير من المصادر التي كُتبت عن ثورة 14 تموز وحركة 14 رمضان التصحيحية. كما أغفلها بصورة متعمدة كتاب المذكرات من قادة الحزب الشيوعي العراقي مثل الأستاذ عزيز الحاج الذي افتتح رسمياً الحملة الموجهة ضد الجمهورية العربية المتحدة في مقالاته بجريدة صوت الأحرار، كذلك فعل زكي خيري وبهاء الدين نوري وعزيز سباهي والعشرات من كتاب الحزب داخل العراق وخارجه.

إن ذلك التجاهل والإهمال لم ينج منه حتى الدكتور حنا بطاطو في كتابه «العراق... الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية» الذي استحق عليه ثناءً مبالغاً فيه، فهو لايشير الى تلك البرقية لا من قريب أو بعيد في حين أنها ـ لأي مؤرخ أو باحث منصف ـ كانت السبب المباشر وحجر الزاوية فيما حدث بعدها من انحرافات واستبداد واقتتال من أجل تنصيب قاسم زعيماً أوحد «في جمهورية خالدة» من صنع خياله وتشجيع ودعم من حزب الشيوعيين العراقيين وبعد مضي أيام معدودة على قيام الثورة ومثل هذه الزعامة «الأوحدية الطموحة» تحتاج الى سنين لتكريسها وإقناع الناس بها بالترغيب أو الترهيب.

إن تلك البرقية المزيفة تفضح الدور التخريبي المشبوه لحزب الشيوعيين العراقيين لثورة 14 تموز في زرع بذور الشقاق الداخلي والانشقاق العربي الثوري ومساهمته المتعمدة خدمة لأهداف لا تخدم العراق والأمة العربية وكانت في محصلتها النهائية اجهاض أهداف ثورة تموز الوطنية والقومية خدمة لأهداف الاستكبار والصهيونية وقبل أن تمارس حكومة الثورة مسؤولياتها في إدارة البلاد. بادر قاسم بعدها بإصدار بيان يطمئن فيه الغرب، ويتعهد بالحفاظ على المصالح الاقتصادية للغرب، وكأن ليس هناك من هدف للثورة غير تغيير الوجوه، وتنصيب قاسم تحت شعارات وطنية، بديلا عن نوري السعيد.

فلا الوحدة العربية تحققت، ولا الاحتكارات النفطية ضربت، ولم يسقط حلف بغداد، الى ان شن الرئيس عبد الناصر حملته الشعواء على قاسم وحلف بغداد، خلال زيارة عبد الناصر للاقليم الشمالي عام 1959، بعد مذابح الموصل وفشل حركة الشواف. كما نجح قاسم في تهدئة مخاوف الغرب من انتشار الشيوعية من خلال جر الشيوعيين لمعارك ومجازر وحشية اثارت ردات فعل قوية حتى عند حلفائهم ومؤيديهم. وعزلهم بما يحقق مبدأ ايزنهاور، ويحقق الغاية من بناء حلف بغداد، وهو منع انتشار النفوذ السوفييتي الى الوطن العربي.

الركلة الأولى للشيوعيين

لذلك كانت مجزرة كركوك المبرر الاخلاقي او الموضوعي ليوجه اول ركلة للحزب الشيوعي. الا أن قاسم ، كان على ما يبدو لا زال يحمل بعض المخاوف من ان يتمكن القوميون التحرك ضده وازاحته من السلطة. وهو يدرك اكثر من غيره ايضاً حقيقة النوايا الانتهازية والنفعية التي تحرك مجموعة الضباط القريبين منه، والذين حسبوا على الحزب الشيوعي، استجابة لرغبة قاسم نفسه على ما يبدو مثل وصفي طاهر، والمهداوي وغيرهم من الضباط الذين اطلق عليهم وصف القاسميين، كأحسن توصيف لانتهازيتهم كالجدة والعبدي وقاسم الجنابي، أي انه لا يعاني من عقدة الخوف من تغير ولائهم له بسبب انقلابه هذا على الحزب الشيوعي. لذلك تأتي خطوة قاسم لاطلاق سراح المسجونين من البعثيين والقوميين، كوسيلة لتحقيق التوازن مع الشيوعين في الشارع العراقي، بعد ان اعتقد او ظن بانه انهك حزب البعث بما يكفي للتخلص من شره ويطفئ طموحاته للسيطرة على السلطة، الا ان الحزب ما زال كما يعتقد قاسم قادرا على التأثير في الشارع بما يكفي لمواجهة الشيوعين وانصارهم. ثم انه اعتقد على ما يبدو بأن تهيئة الساحة لتصعيد الصدامات بين البعثيين والشيوعين، ستنهك الشيوعين وتضعفهم، وتقضي على او تستهلك تماما ما بقي عند البعثيين من قدرات للتحرك، وتخلصه من المخاطر التي يمثلها حزب البعث على حياته وسلطته، كما اثبت الحزب قدرته على ذلك من خلال محاولة التصدي له في شارع الرشيد، في محاولة اغتيال جريئة، نجا منها قاسم بأعجوبة.

حازم جواد جالسا وعن يمينه اسماعيل الطويلة وعبد الله الركابي وعن يساره علي السعدي وعلي مختار وعبد الامير عباس وحسن عطية (التقطت في جريدة الجمهورية)

صورة تجمع بعض البعثيين اللاجئين في القاهرة
من اليمين هاني الفكيكي، وميض عمر نظمي، حازم جواد، حسام الحاج سري

بعد فشل حركة الشواف واعدام كبار الضباط القوميين في ساحة ام الطبول... وبعد ان اطلق عنان الحزب الشيوعي في حملة ارهاب منظمة لم يشهدها تاريخ العراق، طالت جميع القوى العروبية في العراق، بقتل الناس وسحلهم في الشوارع.. وعندما خاف قاسم ان تطال سكين الارهاب رقبته باتخاذ المجزرة البشعة التي ارتكبها الشيوعيون وبعض المتعصبين من الاكراد في ابشع عملية «تطهير عنصري» ضد التركمان في كركوك حجة لتوجيه «الركلة الاولى» للحزب الشيوعي بهدف تقزيمه وإعادته الى حجمه الطبيعي...

* أمين سر القيادة القطرية الأسبق ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة الأسبق